فنسان مونتاي

شواهد على عنصرية اسرائيل

في أعاشر من نوفمبر ١٩٧٥ تبنت الجمعية العموميه للامم المتحدة قرارا يدين الصهيونية ويعتبرها شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . وكلنا يذكر ان الولايات المتحدة الامريكية عارضت القرار الذي وصفه مندوبها في الامم المتحده بالقرار « المشين » ،وهددت امريكا بقطع مساعداتها المالية عن هذه المنظمةالدوليه :

واني لاشعر بالاسف الشديد ان تكون فرنسا (الرسميه) قد وقفت الى جانب الولايات المتحدة والاورغواي وساحل العاج ضد ذلك القرار التاريخي الذي وصفه المندوب الفرنسي تحديدا بـ « المظاهر الكريهة » لان ذلك القرار ، على حد قوله ، كان موجها ضد اناس طالما قاسوا من ابغض عنصرية . الا وهي النازيه ،وكانوا من اول ضحاياها . وكلنا يذكر ان من بين الاثنين والثلاثين دوله التي قاطعت التصويت نظام « بينوشيه » في التشيلي ولا يخفى على احد عمق علاقة ذاك الفاشي بمضيه حقوق الانسان العادلة ومدى التزامه بها .

لقد كتبت صحيفة « لوموند » الفرنسية في الثاني عشر من نوفمبر٧٥ :«كان شرفا لفرنسا ان تصوت ضد ذلك القرار المخزي والمؤسف معا » .

طبيعي ان يكرروا كذبتهم المعتادة ، وطبيعي ان ارفض انا ايضا اكاذيبهم تلك . انني كفرنسي حر ومحارب ضد النازية والاحتلال النازي لوطنه وقاسى السجن تحت الاحتلال عامي ٤١ و٤٠ ، وكمراقب للامم المتحدة في القدس عام ١٩٤٨ في فترة المذابح الصهيونية لاهالي « دير ياسين » بمجموعهم وما قبل الجريمة الصهيونية ، التي نفذت بدم بارد ، واعني اغتيال الوسيط الدولي الاعزل من السلاح « الكونت برنادوت » ، والذي اشهد جازما بانه لم ينحز الى الجانب العربي ،بل حاول ان يكون منصفا ومنصفا فقط .

ليس هناك في الواقع من ينكر حقيقة ان اسرائيل دولة عنصرية ، ودليل على ذلك « قانون العودة » ذلك القانون الذي يعطي الحق لليهود بالعودة الى ما يسمى بـ « ارض الميعاد » ، مع حرمان الشعب الفلسطيني من ممارسة هذا الحق والعودة الى ارضه وبيوته . ان اسرائيل كيان ديني زائف بسبب ذلك القانون«الموسوي» . رجل يعرف بان اسرائيل ما هي الا دولة يهودية بحيث لا مجال للعيش ضمن قوانينها لغير اليهودي كمواطن عادي له كامل حقوق المواطنية .

انني لست الوحيد الذي يقول هذا الكلام . انني اعرف اسرائيليا يقول نفس ما اقول ويكتبه . انه«اسرائيل شاحاك » الاستاذ في الجامعة العبرية في القدس . لقد ملك شاحاك الشجاعة الكافية لان ينشر كتابا بعنوان « العنصرية ودولة اسرائيل » وضع فيه اصبعه على الخصائص الثلاث المميزة لما يسمى بدولة اسرائيل ، الا وهي :

١ ــ العنصرية .
٢ ــ الارهاب .
٣ ــ النازية .

لقد صرح شاحاك ،رئيس الجمعية الاسرائيليةللدفاع عن حقوق الانسان ، بهذه الادانة المثلثة الصريحة امامي في مؤتمر صحفي عقده في باريس ، حزيران ٧٥ . وقد نشرت « لوموند » تلك الادانة بدون تعليق .

هنا اطرح سؤالا : لم قصر صفة مجرمي الحرب على النازيين الالمان ؟ ان هذه الصفة يجب ان تمتد لتشمل الجلاد الامريكي في فيتنام وكمبوديا ولتشمل القتلة السفاكين امثال « مناحيم بيغن » .

لقد كتبت « فيليتسيا لانغر » المحامية اليهودية ،

كتابا شجاعا بالعبرية (ترجم الى الفرنسية)، وهو بعنوان « كمحامية اسرائيلية .. اني اشهد » ، وفيه الكثير الكثير عن الجرائم الوحشية للصهيونية .

واسرائيل لا تجرؤ على اسكات صوت شاحاك . انهم يقولون بعدم ضرورةاسكاته لان ذلك سيدفعه الى الجنون. ولكن اذا كان ذلك صحيحا ، فمتى نسمع بان البروفسور شاحاك هو نزيل احد المصحات العقلية ؟

انني واحد من كثيرين قاتلوا لتحرير فرنسا وناضلوا من اجل حرية المستعمرات الفرنسية سابقا . اننا مقاتلي التحرير لا نقبل ان تنسى حكومتنا او ان تغض الطرف عن استغلالنا الوطني . في عصر يقظة الامبريالية الامريكية.

طبيعي ان يعرف الجميع بان هناك تفرقة عنصرية داخل الدولة اليهودية ضد الجماعات الدينية الاخرى من مسلمين ومسيحيين عرب . ولكن هناك تفرقة عنصرية اشد داخل تلك الدوله ، وهي موجهة ضد (يهود اليهود) واعني من يعتبرون في اسرائيل «ما دون الكلاب». من هم ما « دون الكلاب » اولئك ؟ على سبيل المثال هناك اغلبية ما بين ٦٠ و٧٠ بالمئة من مجموع اليهود في فلسطين من اليهود الشرقيين « السفارديم » واليهود العرب . وهؤلاء يحدق بهم من اعلى ، والذين يمارسون هذه الفوقية والتفرقة فهم « الاشكنازي » اي اليهود الغربيون . ويعتبر الاشكنازي « السفارديم » اناسا أميين غير متحضرين ومزواجين قذرين ، ولذا يجب حرمانهم من الكثير من امتيازات الاشكنازي واحتقارهم . هذا جانب ، اما الجانب الاخر فالواقع يرينا بان يهود الاتحاد السوفييتي الذين بكوا او تباكوا لسنوات لاجل السماح لهم بالهجرة الى اسرائيل ، يهجرون الان ذاك « البلد الذهبي » الى اوروبا وامريكا وحتى الى الاتحاد السوفييتي ، لسبب بسيط هو انه ليس بمقدورهم التكيف مع ما يسمى بـ « ارض الميعاد » وقوانين دولة اسرائيل العنصرية . لقد تزايد لديهم الاحساس وهم في اسرائيل بانهم اجسام غريبة ، عديمة الانسجام ضمن حلقة عنصرية مكتملة ، ان على صعيد القوانين او الممارسة العملية . وباختصار تزايد احساسهم بانهم اشياء في غير محلها .

واسأل هنا ماذا عن يهود امريكا السود ، او يهود اثيوبيا « الفلاشا » ؟

كل الدلائل تشير الى انهم ليس من المرحب بهم ، بل ان هناك شواهد على عدم قبولهم في الدولة .

الا تفوح من كل هذا نكهة العنصرية ؟ ولن نقف طويلا امام العلاقات الخاصة « جدا » والتي تربط اسرائيل بالنظام العنصري في جنوب افريقيا .

فيلم كفر قاسم للمخرج « برهان علوية » يصوّر المذبحة التي ارتكبتها **احدى وحدات** الجيش الاسرائيلي بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ . ضد السكان الابرياء للقرية الفلسطينية « كفر قاسم » .

لقد كتب احد الصحفيين الفرنسيين في صحيفه « لوموند » بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٧٥ « هل يعقل ان يتكلم اسرائيلي بمثل هذا الحقد على العرب ؟ وهل يصدق ان يرتكب الذين بقوا احياء من اليهود ، بعد مذابح البربرية النازية تلك الجريمة بقتل ذاك العدد من الفلسطينيين ؟»

يبدو لي ان الجذور الحقيقية للمشكلة تكمن هنا . ان من المفترض ان يكون اليهود اخر من يفكرون بان يصبحوا قوه محتلة او جيش احتلال . ولكن يبدو ان كثيرين ينسون بان ضحايا الاضطهاد قد استبدلوا المعسكرات وتحولوا الى جلادين . وكما قال المرحوم « الجنرال ديفول » ، ذاك الرجل الكبير في عمق رؤيته وبعدها ، قال في مؤتمره الصحفي الذي عقده في ديسمبر ١٩٦٧ « كثيرا ما ينسى الناس ان الاضطهاد ينسل الارهاب » .

لقد كان قرار الامم المتحدة بادانة واقع الصهيونية قرارا صحيحا . ولدي اعتقاد جازم بان الصهيونية هي حركة عنصرية من الطراز الاول وبدون منازع . ولا يحتاج المرء الى اكثر من نظرة فاحصة ليجد ان الصهيونية تملك كل مقومات العنصرية ،وهي لا تعدم شبئا في هذا المجال :

فهي لا تعدم « المهيرين قولك » واعني العناصر المختارة المسيطرة ، ولا تعدم النظرية التوسعية القائمةعلى فرضية المدى الحيوي « لينستراوم » ، هذا بالاضافة الى مبدأ حق الاقوى .

ان علينا مواصلة النضال ضد العنصرية والصهيونية اينما وحيثما وجدتا ، طامحين الى الافضل ،ومعدين انفسنا لاحتمال الاسوأ . انني لاتذكر دائما كلمات كتبها « عبدالرحمن بن خلدون » في نهاية القرن الرابع عشر : « الحقيقة لا تقاوم » .

وانا اخترت معسكر الفقراء الذي لا يقاوم !

فنسان مونتناي

استاذ في الكوليج دو فرنسا